مجالس في تدبر القرآن

مجالس في تدبر القرآن |)950(قوله تعالى وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ..

خالد السبت

الحمد لله الصلاة والسلام على رسول الله اما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته يقول الله تبارك وتعالى في جملة ما قصه من خبر بني اسرائيل وما كان منهم من العتو - 00:00:00

على الله تبارك وتعالى وعلى انبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون يذكرهم يخاطب من وجد منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في وقت التنزيل - 00:00:21

بما كان من اسلافهم وكما ذكرنا ان المعرة اللاحقة للاباء تلحق الابناء اذا كانوا على طريقتهم فيقول لهم مخاطبا واذكروا يا بني اسرائيل واذ اخذنا قلنا ان مثل هذا يكون فيه - 00:00:48

مقدر محذوف واذكروا اذ اخذنا يعني اخذنا عليكم الميثاق والميثاق هو العهد المؤكد بالتوراة بتحريم سفك دماء بعضهم لبعض لا يحل لليهود ان يقتل اليهودي ولا ان يخرجه من دياره - 00:01:09

وقد اقروا بذلك واعترفوا وهم يشهدون على صحته لكن هؤلاء المردة لم يفوا بهذا العهد ولم يحققوا ذلك كما سيأتي فيؤخذ من هذه الاية في مثل هذا التعبير. واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم. المعنى لا يسفك - 00:01:34

بعضكم دما بعض وكذلك في قوله ولا تخرجون انفسكم يعني ولا يخرج بعضكم بعضا فهنا الامة المتحدة المجتمعة على ملة ودين افرادها كالنفس الواحدة فلاحظ التعبير هنا وما سيأتي في الاية - 00:02:03

بعده واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم يعني لا يسفك ده مب اخيه وهكذا ايضا ولا تخرجون انفسكم يعني ولا تخرج اخوانكم لا يخرج بعضكم بعضا لما كانت النفوس المجتمعة على - 00:02:28

امر واحد من الملة والدين بمنزلة النفس الواحدة عبر عنها بذلك وهذا له نظائر ذكرنا شيئا من ذلك في مناسبات سابقة كقوله تبارك وتعالى ولتقتلوا انفسكم فان احد المعاني المقولة فيه يعني لا يقتل بعضكم - 00:02:55

بعضا وهو يصح ان يستشهد به على منع قتل الانسان نفسه والقرآن يعبر به بالالفاظ القليلة الدالة على المعاني الكثيرة وهكذا في قوله تبارك وتعالى يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم - 00:03:21

بينكم بالباطل اموالكم يعني لا يأكل مالا اخيه فنزلت النفوس المجتمعة على ملة ودين منزلة النفس الواحدة فهذا يؤخذ منه ان نفوس اهل الايمان انها كالنفس الواحدة فينبغي ان يحب لاخوانه ما يحبه - 00:03:41

لنفسه ولذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم مثل حال الامة في ترابطها وتعاطفها وتراحمها بمنزلة الجسد الواحد مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد - 00:04:06

بالسهر والحمى لو انه جرح اصبعه فان ذلك لربما يتسبب عن الم في جميع جسده لو المه ضرسه فان ذلك يؤدي الى صداع الرأس وما الى ذلك من اتعاب والام - 00:04:34

قال الله تعالى مبينا حالهم بعد اخذ هذا الميثاق والعهد المؤكد ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من دياركم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم - 00:04:53

افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب

وما الله بغافل عما تعملون. يخاطبهم كالخطاب السابق - 00:05:18
ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم يعني يقتل بعضكم بعضا والقول فيه كما اسلفنا قال وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان يعني ويخرج بعضكم بعضا من ديارهم ويتقوى كل فريق منكم على اخوانه بالاعداء - 00:05:37
بغيا وعدوانا اليهود الذين كانوا في المدينة يهود قريظة ويهود النظير يهود النضير كانوا احلافا الخزرج ويهود قريظة كانوا احلافا للاوس وهم الذين حكم فيهم سيد الاوس رضي الله تعالى عنه سعد ابن معاذ رضي الله عنه لانهم رضوا ان ينزلوا على حكمه - 00:06:04
باعتبار انه كان حليفا لهم في الجاهلية فكانت الحروب تقع بين الاوس والخزرج وتستمر عقودا متطاولة فكان الحلفاء من اليهود حلفاء هؤلاء وحلفاء هؤلاء يخوضون هذه الحروب معهم وهذه الحروب يحصل فيها قتل - 00:06:35
ويحصل فيها اسرى فهؤلاء اليهود الذين مع كل طائفة من طوائف هؤلاء العرب من الاوس والخزرج كان يحصل على ايديهم القتل لاخوانهم اليهود من الفريق الاخر ويحصل ايضا الاسر يأسرونه في جملة ما يأسرون - 00:06:58
وكانوا يتناقضون فيعمدون الى قتلهم وكذلك ايضا يأسرونهم ويخرجونهم من ديارهم ويتظاهرون عليهم بالاثم والعدوان في هذه الحروب الجاهلية واذا جاؤوا في حال الاسر دفعوا الفداء في فكاكهم فكانوا بذلك يؤمنون ببعض الكتاب - 00:07:22
ويكفرون ببعض اذا جاءوهم اسارى فادوهم دفعوا الفداء في سبيل فكاكهم فكان هذا من دينهم ولكنهم في الجانب الاخر يقتلونهم ويخرجونهم من ديارهم وهذا محرم عليهم. فالله تبارك وتعالى نعى عليهم - 00:07:53
ذلك الفعل القبيح وهذا التناقض المشين حيث امنوا ببعض احكام التوراة وكفروا ببعضها فليس لمن فعل ذلك منهم الا الخزي في الحياة الدنيا وهو الذل والفضيحة والعار والشنار ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب - 00:08:17
في النار وما الله بغافل عما يعملونه من هذه الافعال المتناقضة السيئة يؤخذ من هذه الاية ان الايمان يحرم على اهله ان يدخلوا في احلاف تناقض مقتضى هذا الايمان وتناقض ما اخذ عليهم - 00:08:46
في شرعهم وكتابهم والمواثيق التي اخذها الله تبارك وتعالى على اهل الايمان تحت اي ذريعة كان ذلك او مصلحة متوهمة فان عهد الله تبارك وتعالى احق ان يوفى به وشرعه تبارك وتعالى احق ان يتبع - 00:09:15
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان بسبب هذه الاحلاف التي كانت مع هؤلاء الفرقاء من الاوس والخزرج كذلك ايضا فك الاسارى لا شك انه من دين الله تبارك وتعالى اطلاق الاسير فك العاني كما امر النبي صلى الله عليه - 00:09:47
وسلم وبذلك جرى عمل المسلمين وانعقد عليه الاجماع وهو من اجل الاعمال واشرفها ان يفك الاسار من المسلمين ولو دفع اخر دينار او درهم في بيت مالي المسلمين فهذا من - 00:10:12
الواجبات المفروضة على هذه الامة هي من فرض الكفايات اذا قام بها البعض سقط ذلك عن الباقين ثم ايضا عاد الخطاب الذي خاطب الله به بني اسرائيل حينما ذكر الميثاق الذي اخذ عليهم - 00:10:35
ثم بعد ذلك ما حصل منهم من النقض ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم. قال ذلك افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فان الايمان يقتضي الاخذ بشرائع - 00:11:01
الدين كاملة دون تذوق ودون انتقاء فيأخذ ما يحلو له وما يوافق هواه ويترك ما عدا ذلك. هذا خلاف مقتضى الايمان ولا يجوز بحال من الاحوال. والله عز وجل قال في مثل هؤلاء افتؤمنون ببعض الكتاب - 00:11:21
تكفرون ببعض فالهمزة هنا للانكار استفهام انكار. يعني ثم انظر الوعيد الذي ذكره بعده فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي هذا الخزي معجل لهم في الحياة الدنيا ثم بعد ذلك العقوبة - 00:11:45
في الاخرة بالرد الى اشد العذاب فدل ذلك على ان هذا من اعظم الجرائم والمنكرات ان يأخذ الانسان من الدين ما يحلو له ويوافق هواه ويترك الباقي فهذا من اعظم الجنايات - 00:12:06
والله توعد اصحاب هذا بخزي في الدنيا وعذاب في الاخرة. فلا يمكن ان يتحقق للانسان مطلوبه من اللذات او العز الذي يرجيه او

التمكين او نحو ذلك وهو يؤمن ببعض الكتاب - 00:12:24
ويكفر ببعض فمن اراد الفلاح والنجح والعزة في الدنيا والاخرة فعليه ان يأخذ شرع الله عز وجل كما جاء من غير تفريق ولذلك تجدون في اخر هذه السورة الكريمة لا نفرق بين احد - 00:12:45
من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير. قبله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته الى اخر ما قال من غير تفريق بين الرسل وكذلك ايضا بما جاء به الرسول صلى الله عليه - 00:13:06
واله وسلم ثم ايضا تأمل التعبير في هذه الاية فيما يتعلق القتل والاخراج فقال الله تبارك وتعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا فعبر بالفعل المضارع بهذه الصيغة الخبرية - 00:13:28
التي نزل فيها الغائب منزلة الحاضر وذلك اشد في التشنيع وكما ذكرنا في مناسبة سابقة ان الفعل المضارع يدل على التجدد والحدوث. يعني كانك ترى ذلك فمنهم عيانا يقتلون اخوانهم ويخرجونهم من - 00:14:00
ديارهم ويتظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وهذا امر قد مضى وكان في الزمن الغابر فما قال ثم انتم هؤلاء قد قتلتم اخوانكم واخرجتم فريقا منهم من ديارهم وانما قال تقتلون تقتلون انفسكم وتخرجونه فكأن ذلك يحدث - 00:14:22
ويتجدد امام ناظرك ثم تأمل قوله تبارك وتعالى فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي فجاء بالخزي هنا منكرا وذلك يدل على التهويل و التعظيم ثم قال وما الله بغافل عما - 00:14:47
تعملون لاحظ وما الله بغافل عما تعملون. فقدم المسند اليه بغافل وذلك افادة التخصيص وتأكيد الوعيد ويؤخذ من هذا الموضع ايضا في الاية وما الله بغافل الصفات صفات الرب تبارك وتعالى. منها ثبوتية وهذا هو الغالب - 00:15:11
فهذه الثبوتية مثل العزة والحكمة والرحمة وكذلك العلو والاستواء كل هذا من الصفات الثبوتية النوع الثاني وهي الصفات السلبية ومن هذه الصفات السلبية ما كان بصيغة النفي لا تأخذه سنة - 00:15:40
ولا نوم ولا يؤوده يعني ولا يعجزه حفظهما وما الله بغافل عما تعملون وما اشبه ذلك فهذا كله يقتضي ثبوت كمال ضده بمعنى ان مثل هذا النفي الوارد فيما يتصل بصفات الله عز وجل نفي النقائص في اوصافه تعالى - 00:16:08
وفي اوصاف النبي صلى الله عليه وسلم وفي اوصاف الملائكة وفي اوصاف القرآن كل هذا يقتضي ثبوت كمال ضده. اذا قال عن القرآن ذلك الكتاب لا ريب فيه. فالنفي بمجرده لا يكون كمالا ولا مدحا - 00:16:36
تقول مثلا هذه السارية لا تجهل ليس فيه اثبات العلم لها والشاعر يقول عن قبيلته على سبيل الهجاء قبيلة لا يغدرون بذمة لا يغدرون بذمة هل هذا مدح لهم؟ ولا يظلمون الناس حبة خردل - 00:16:53
هو يهجوهم بهذا لضعفهم انهم لا يغدرون بذمة والعرب في الجاهلية كانوا يتمدحون بالبطش والعدوان نكث العهد وما اشبه ذلك ويعتقدون ان من لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس - 00:17:15
يظلمي هكذا كانت شريعة الغاب في اذهانهم فهنا حينما ينفي الله تبارك وتعالى عن نفسه هذه النقائص. لا تأخذه سنة ولا نوم. يدل على كمال حياته وقيوميته لان السنة وهي مقدمة النوم وخسورته - 00:17:37
هذه ضعف ونقص في الحياة وكذلك النوم فهو نقص في الحياة فهذا يدل على كمال حياته. وحينما ينفي عن نفسه الظلم فان ذلك لكمال عدله وحينما ينفي عن نفسه تبارك - 00:18:00
وتعالى ولا يؤوده حفظهما ولا يعجزه او لا يثقله هذا يدل على كمال كما لقدرته وقوته ونحو ذلك فهذا ايضا في هذا الموضع وما الله بغافل عما تعملون وما الله بغافل - 00:18:18
عما تعملون هذا كمال احاطته وعلمه فبصره نافذ في خلقه ولا يفوته شيء من احوالهم ثم قال الله تبارك وتعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب - 00:18:39
ولا هم ينصرون. هؤلاء الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض انما كان ذلك منهم لكونهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة. اثروا الحياة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب وهذا يدل على انهم - 00:19:01

مخلدون في النار وليس لهم ناصر ينصرهم من عذاب الله ويخلصهم منه فالذي اوجب لهم الكفر ببعض الكتاب والايمان ببعض هو هذه الحياة الدنيا التي اثروها واثر زينتها ومطامعها على - 00:19:23
ما عند الله تبارك وتعالى. فصاروا يأخذون ما يوافق اهواءهم ويتركون ما عدا ذلك والله المستعان. فاذا كان هذا الوعيد قد توجه على بني اسرائيل في هذا الفعل المشين فان ذلك ايضا يتوجه على هذه - 00:19:45
الامة فانه لا يجوز للامة او لاحد من افرادها ان يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض لان الحكم جاء عاما فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا - 00:20:05
فهذا قد ربط بعلته فالذي يفعل ذلك متوعد بهذه العقوبة الخزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب ولذلك فان مقتضى اخذ الكتاب بقوة ان يأخذه بكماله وشموله بجد واجتهاد - 00:20:22
اما ان يبحث عما يوافق هواه سواء كان ذلك ابتداء او كان ذلك استفتاء يعني حينما يسأل او يذهب او يتخير في المفتين او في الفتاوى يبحث عما يوافق الهوى فان ذلك لا يخلصه - 00:20:45
من التبعة فلا يكون سالما بهذه الحال الواجب على الانسان ان يسأل عما يحتاج الى معرفته من الاحكام الشرعية يسأل من يثق بدينه وعلمه فاذا افتاه فلا يجوز له ان يبحث بعد ذلك عن فتية اخرى ترخص له بهذا - 00:21:02
الفعل الذي يهواه وكما قال الشاطبي رحمه الله بانه اذا استوى عنده قولان بلغه قولان عن عالمين ينظر الى الارجح عنده من جهة العلم والدين والورع فيأخذ بقوله. فان استوي - 00:21:25
فانه ينظر الى الهوى اين الهوى فيخالف هواه؟ لان هذه الشريعة قد ركبت تركيبا على خلاف داعية الهوى وانما وضعت هذه الشريعة لاخراج المكلف من داعية الهوى ليكون عبدا لله عز وجل. ولذلك من الخطأ الكبير - 00:21:46
ان يتحول المفتي الى مرخصا للناس يبحث عما يوافق اهواءهم وعما يحبون وهي تكون الفتاوى على هذا النهج هذا خطأ لا تسلم به ذمته ولا تبرأ وكذلك ايضا هؤلاء لا تسلم ذمتهم ولا يبرؤون. هؤلاء حينما يبحثون عما يعتقدون - 00:22:05
انه يسهل وييسر وانه مرن في اعتقادهم فانهم حينما يأخذون باقواله او يسألونه فان ذمتهم لا تبرأ بهذا السؤال وانما الواجب عليهم ان يتحروا. اما الاحتجاج بالخلاف فهذا ليس بشيء. وقد نقل على ذلك جمع من اهل العلم الاجماع - 00:22:31
حافظ حافظ المغرب ابن عبد البر رحمه الله وجماعة من اهل العلم بان الاحتجاج بالخلاف يفعل الانسان ما يحلو له في المسائل المختلف فيها بحجة ان ذلك قد اختلف فيه الفقهاء فالمرأة قد تكشف وجهها بحجة ان هذه مسألة خلافية - 00:22:52
ولربما تلبس لباسا قصيرا وتخرج امام النساء بالبسة تبدي بعض مفاتن الجسد وتحتج بان ذلك فيه خلاف وان من الفقهاء من قال بان عورة المرأة من السرة الى الركبة وما اشبه ذلك فيبحثون - 00:23:16
وبعض من لربما تحسن الدخول الى الشبكة. تبحث هنا وهناك وتبحث عن اقوال تجيب به عمن انكر عليها وتبعث لهم هذه للاقوال وهذه الفتاوى الواقع ان الذمة مع هذا لا تبرأ وهذا الفعل الذي يفعلونه ليس بشيء وهؤلاء عوام وانما - 00:23:35
ما مذهبهم مذهب من افتاهم مذهب العلماء الذين يفتونهم واذا كان هؤلاء لا يميزون ينظرون في الارجح من جهة الورع والدين والعلم فيأخذون بقوله اما ان يبحث الانسان هنا وهناك فانه سيجد - 00:23:57
في فتاوى العلماء اشياء واشياء فيجتمع فيه الشر كله سيجد من يفتي بنكاح المتعة من السلف وسيجد من يفتي بجواز انواع من الربا وسيجد من يفتي بانواع من المعازف وسيؤجد من يفتي بان المرأة - 00:24:14
خطوبة يجوز للخاطب ان ينظر منها الى كل شيء سوى القبل والدبر وكذلك ايضا سيجدون في كل مسألة يهوونها فتاوى واهل الكوفة كما هو معروف منذ القدم منذ زمن التابعين - 00:24:38
كانوا يقولون بجواز شرب النبيذ وما اشبه ذلك فهذا اذا جمع هذه القظايا فانه سينخلع من رفقة الدين يأخذ بقول هذا وبقول هذا وبقول هذا وهذا لم يجتمع لعالم واحد يعني هذه الاقوال مجتمعة هذه الرقاع - 00:24:55
ما قال بها عالم واحد وانما اخذ رقعة من هذا واخرى من ذاك واخرى من ذاك فخرج بثوب لا يصلح ان يخرج به امام الناس. ولا نعلم

احدا من اهل العلم. قال بانه يجوز للمرأة - 00:25:17
ان تلبس لباسا ما بين السرة الى الركبة وتحضر محافل النساء وتخرج امام النساء بهذا لا يعلم احد انما يتكلمون عن اشياء اخرى فيما لو كانت المرأة لحاجة اخرجت ساقها او نحو ذلك تتوضأ او في مهنتها في بيتها او نحو ذلك - 00:25:35
فخرج ساقها الى نحو الركبة اما ان تفصل ثوبا الى الركبة او الى ما فوق الركبة وثم هؤلاء يتبعون اهواءهم بدليل انهم يلبسون كثير منهم الان يتقاصر الثياب فصاروا يلبسون الى ما - 00:25:53
فوق الركبة وهم يقولون من الفقهاء من قال ان عورة المرأة من السرة الى الركبة امام النساء وهذا ليس بصحيح ولا يجوز الاعتماد على مثل هذا وعلى الانسان ان يتقي الله تبارك وتعالى. والنبي صلى الله عليه وسلم قال قولا عاما لم يفصل فيه - 00:26:09
بان ذلك امام النساء او امام الرجال قال المرأة عورة فدل على ان المرأة امام النساء عورة وامام الرجال عورة وانما تبدي ما دل الدليل على ابدائه او على جواز ابدائه. ما الذي كانت تبديه امهات المؤمنين - 00:26:30
ونساء الصحابة رضي الله عنهن امام النساء. هل كن يخرجن بهذه الثياب وبهذه الالبسة التي تبدي اجزاء كبيرة من الجسد كلا وحاشا والله المستعان اه هذا واسأل الله عز وجل ان ينفعنا واياكم بما سمعنا ويجعلنا واياكم هداة مهتدين. والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه - 00:26:49